تقرير

شوقي عشقوتي

أوجلان دعا إلى حلّ "العمال الكردستاني" وإلقاء السلاح
إسدال الستارة على صراع مزمن بين تركيا والأكراد

اذا كانت القضية الفلسطينية هي القضية المركزية في الشرق الاوسط وصار حلها شرطا من شروط الاستقرار والسلام المستدام، فان المسألة الكردية في المنطقة هي الثانية من حيث الاهمية، ان لجهة عمقها وجذورها التاريخية، او لجهة ابعادها وارتباطاتها الاقليمية والدولية. واذا كان الصراع التركي ـ الكردي بدأ عده العكسي مع حل حزب العمال الكردستاني نفسه والقاء سلاحه، فان اسدال الستارة على هذا الصراع المزمن ينسحب في تداعياته على المسألة الكردية في سوريا

تركيا واكراد الشرق الاوسط كانوا على موعد مع نداء تاريخي لزعيم حزب العمال الكردستاني عبدالله اوجلان، دعا فيه الحزب الى حل نفسه والقاء سلاحه. وقال اوجلان (الذي يقضي عقوبة بالسجن مدى الحياة في سجن بجزيرة إمرالي، الواقعة في جنوب بحر مرمرة، غرب تركيا، منذ 26 عاما) مخاطبا قيادات الحزب: "اعقدوا مؤتمركم واتخذوا قرارا، يجب على جميع المجموعات القاء اسلحتها، ويجب على حزب العمال الكردستاني حل نفسه". واضاف، في رسالة قراها باللغتين الكردية والتركية اعضاء في وفد من حزب "الديموقراطية والمساواة للشعوب"، المؤيد للاكراد، عقب زيارة اوجلان في سجنه للمرة الثالثة: "ادعو الى نزع السلاح، واتحمل المسؤولية التاريخية عن هذه الدعوة. كما الى عقد مؤتمر عام واتخاذ قرار بالاندماج في الدولة والمجتمع".

بدأ القائد التاريخي لحزب العمال الكردستاني رسالته بالتذكير بظروف نشوء الحزب في القرن العشرين، الذي وصفه بـ"اكثر العصور عنفا في التاريخ، في ظل حربين عالميتين، والاشتراكية الواقعية، واجواء الحرب الباردة التي شهدها العالم، وانكار الواقع الكردي، والقيود المفروضة على الحريات، وعلى راسها حرية التعبير"، معتبرا انه نتيجة "انهيار الاشتراكية الواقعية في التسعينات لأسباب داخلية، وتراجع سياسة انكار الهوية (الكردية) في البلاد، والتطورات التي شهدتها حرية التعبير، فقد حزب العمال الكردستاني اهميته واصبح يعاني من التكرار".

وقال اوجلان المعروف اختصارا بلقب "ابو" انه "نتيجة لذلك، اصبح حل الحزب ضرورة"، داعيا الى "عودة التحالف التركي - الكردي الممتدة جذوره لأكثر من 1000 عام، سعيا للحفاظ على وجود الاكراد والصمود في وجه القوى المهيمنة".

ورفض اوجلان في بيانه "الحلول القائمة على النزعات القومية المتطرفة، مثل انشاء دولة قومية منفصلة، او الفيديرالية، او الحكم الذاتي، فهي لا تلبي متطلبات الحقوق الاجتماعية التاريخية للمجتمع"، مطالبا "باحترام الهوية، وحرية التعبير، والتنظيم الديمقراطي، وبناء الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكل فئة وفقا لأسسها الخاصة، وهو ما لا يمكن تحقيقه في رايه "الا بوجود مجتمع ديموقراطي ومساحة سياسية ديموقراطية".

يطرح النداء اسئلة كثيرة تتعلق بالجانب الكردي، وخصوصا لجهة ما اذا كانت قيادة جبال قنديل في شمال العراق ستلتزم به، وما اذا كانت "وحدات حماية الشعب" الكردية في سوريا تعتبر نفسها معنية بالنداء، فيما رحب رئيس اقليم كردستان العراق نيجيرفان برزاني بالنداء، داعيا الى الالتزام به وتنفيذه. من الناحية التركية، ثمة تساؤلات حول ما اذا كانت انقرة ترى النداء كافيا، والثمن الذي يمكن ان تقدمه مقابله، لاسيما الاعتراف في الدستور بالهوية الكردية والتعليم باللغة الكردية في المناطق ذات الغالبية الكردية، واعطاء هذه الاخيرة خصوصيات في التعيينات وادارة نفسها ووقف عمليات الاعتقال لرؤساء البلديات وتعيين اخرين مكانهم.

اذا كان تاريخ المسألة الكردية في تركيا يعود الى بدايات تأسيس الجمهورية عام 1923، فان ظهور مسألة كردية في سوريا لا يتعدى بدايات الحرب فيها عام 2011، وظهور ما يسمى "روجافا" في شرق الفرات واعلانها الحكم الذاتي. على ان معارضة انقرة لـ"وحدات حماية الشعب" الكردية، واعتبارها اياها امتدادا لـ"حزب العمال الكردستاني"، تسببا في تشعب المشكلة، علما ان كل هذا السياق سابق على امرين: الاول، اعلان رئيس "حزب الحركة القومية" دولت باهتشلي، في الاول من تشرين الاول الماضي، ان في الامكان حل المشكلة الكردية في تركيا، عبر توجيه عبدالله اوجلان، زعيم "الكردستاني" المعتقل منذ عام 9991، نداء للحزب بترك السلاح والتخلي عن الارهاب. والثاني، سقوط نظام بشار الاسد على يد "هيئة تحرير الشام" المدعومة بالكامل من تركيا. لكن احد التطورات المهمة بالنسبة الى المسألة

> **سقوط الاسد وسيطرة تركيا على سوريا سببان مباشران لـ"استسلام" الكردستاني**

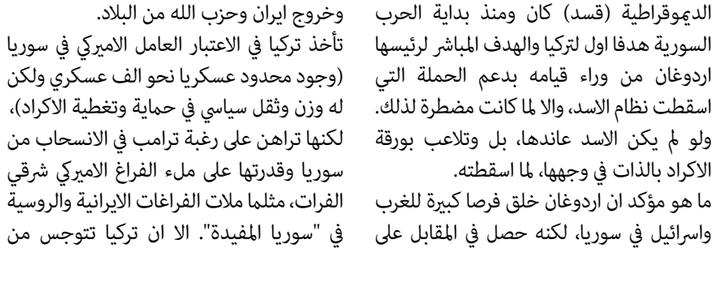

الكردية، كان انتخاب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة، والاهم منه، منحه تركيا تفويضا غير رسمي لادارة سوريا، واشادته برئيسها رجب طيب اردوغان. ووضع ما تقدم، الاكراد في موقف صعب، وخصوصا بعدما بدأت بعض التسريبات من واشنطن تتحدث عن احتمال انسحاب القوات الاميركية من سوريا.

القضاء على المقاتلين الاكراد المنتمين الى حزب العمال الكردستاني او الى قوات سوريا الديموقراطية (قسد) كان ومنذ بداية الحرب السورية هدفا اول لتركيا والهدف المباشر لرئيسها اردوغان من وراء قيامه بدعم الحملة التي اسقطت نظام الاسد، والا لما كانت مضطرة لذلك. ولو لم يكن الاسد عاندها، بل وتلاعب بورقة الاكراد بالذات في وجهها، لما اسقطته.

ما هو مؤكد ان اردوغان خلق فرصا كبيرة للغرب واسرائيل في سوريا، لكنه حصل في المقابل على منظومة حكم موالية في دمشق، وبالتالي لا يدين له الغرب بجوائز اضافية من نوع السماح له بالقضاء على "قسد". كما ان ثمة عاملا آخر للتأثير في مسألة الاكراد والوجود الاميركي في سوريا، وهو اسرائيل التي رفضت الانسحاب الاميركي في 2017، لمخاوف امنية. والواقع ان هذا العامل شهد تغيرا كبيرا مع تمدد القوات الاسرائيلية خارج المنطقة العازلة في الجولان ودرعا وحوض اليرموك، وضرب مخازن اسلحة الجيش السوري، وخروج ايران وحزب الله من البلاد.

تأخذ تركيا في الاعتبار العامل الاميركي في سوريا (وجود محدود عسكريا نحو الف عسكري ولكن له وزن وثقل سياسي في حماية وتغطية الاكراد)، لكنها تراهن على رغبة ترامب في الانسحاب من سوريا وقدرتها على ملء الفراغ الاميركي شرقي الفرات، مثلما ملات الفراغات الايرانية والروسية في "سوريا المفيدة". الا ان تركيا تتوجس من اسرائيل وخطتها في التغلغل والسيطرة داخل سوريا، وهذه الخطة لا تقف عند حدود تدمير قدرات وترسانة الجيش السوري، وانما تذهب الى ابعد من ذلك. وترى ان استراتيجية اسرائيل قائمة على اساس بث الفوضى الدائمة لدى جيرانها، وان الاهداف التركية والاسرائيلية في المنطقة تتناقض، خصوصا ان اسرائيل تدعم اقامة دولة كردية في سوريا.

ويرى الاسرائيليون انه في هذه الايام تجري في هذه اللحظات كتابة تاريخ سوريا. ان سقوط النظام السوري امر رائع، لكن الواقع ليس ان الاشرار رحلوا وجاء الطيبون. فالعديد من الجهاديين الذين سيطروا على سوريا من قدامى المحاربين في "داعش" و"القاعدة"، مثل زعيمهم ابو محمد الجولاني. هم يصرحون بأنهم تغيروا، كلا، لا يمكن لاسرائيل البناء على ذلك. اصدقاء اسرائيل الحقيقيون هم الاكراد الذين تعاونت اسرائيل معهم في الماضي، وموجودون الان في شمال سوريا وشرق العراق على الحدود مع ايران.

يقول محللون اسرائيليون ان جماعة واحدة في سوريا، هي في الواقع شعب، تشكل احتمالا لتحالف حقيقي مع اسرائيل: انهم الاكراد. هذه الجماعة تتعرض لخطر وجودي الان، جراء هجوم محتمل للجهاديين الذين يعملون تحت حماية تركيا. ومن الاجدى بإسرائيل الا تكتفي بالكلام والوعود فقط، وان تقدم لهم المساعدة فعلا. الاكراد هم اكبر شعب في العالم ليس لديه وطن، اذ يبلغ عدده 53 مليون نسمة. لقد قسمهم اتفاق سايكس بيكو ووزعهم على اربع دول: سوريا والعراق وايران وتركيا. وقامت انظمة هذه الدول بقمعهم وتدميرهم. وهناك عبارة مأثورة للأكراد تلخص نضالهم: "اصدقاؤنا الوحيدون هم الجبال"... كل الذين غامروا في الماضي بمساعدتهم، خانوهم لاحقا، حتى اسرائيل. في الواقع، تعد مسألة الاكراد في سوريا، مستقبلهم وعلاقتهم مع السلطة الجديدة المدعومة من تركيا، واحدة من ابرز المسائل المطروحة في مرحلة ما بعد الاسد، ويعد "اللغم الكردي" واحدا من اصعب وادق الالغام المزروعة على طريق الاستقرار والمصالحة المحاصرة بشبكة مصالح وتقاطعات اقليمية ودولية.